

وقت متأخر عن الموعد المحدد لها. وفي حين حضرت جميع الاطراف المدعوة المرحلة الاولى من العملية السياسية، وشاركت جميع الاطراف المعنية في المرحلة الثانية، تقيبت عن مفاوضات المرحلة الثالثة كل من سوريا ولبنان، ولم تشارك منظمة التحرير الفلسطينية فيها على الرغم من وجود وفدها في موعد ومكان المفاوضات، ولم يترك ذلك أثراً إلا «الأسف» لدى متفاوضي المرحلة الثالثة التي كانت كل من سوريا ولبنان اشترطتا مشاركتهما فيها بالتقدم في المفاوضات الثنائية، وهو ما لم يحصل؛ واشترطت منظمة التحرير الفلسطينية رفع مستوى تمثيلها فيها ليشمل ممثلين عن الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج وعن القدس الشرقية، وهو ما لم يحصل أيضاً.

تفاوض للتفاوض

ليس هناك من لديه أدنى شك في ان التفاوض لحل الصراع العربي - الاسرائيلي لن يكون سهلاً. فهو صراع يتداخل فيه التاريخ بالميثولوجيا، والمقدسات بالمصالح، والأيديولوجيا بالسياسة. ويتصارع على أرض فلسطين، ومن خلالها، مشروعان طموحان: الأول، صهيوني - استعماري تعتبر دولة اسرائيل أداة لتحقيقه، ويهدف الى تهجير اليهود من «شتاتهم» الى فلسطين لاقامة «دولة اليهود»؛ والثاني عربي - فلسطيني، يهدف الى تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيوني واقامة الدولة العربية الواحدة. وقد قبلت الحركة الصهيونية باقامة «دولتها» على جزء من فلسطين (مشروع التقسيم لعام ١٩٤٧) لتستكمل سيطرتها عليها في العام ١٩٦٧، وتابعت عملية تهجير اليهود اليها؛ في حين ان المشروع العربي تراجع عن مقولة «الدولة العربية الواحدة» الى مقولة «تضامن الدول العربية» ومن شعار «تحرير فلسطين» الى شعار «استعادة الاراضي العربية المحتلة بعد العام ١٩٦٧»، وتنازل عن وسيلة «الحرب من أجل التحرير» الى وسيلة «التفاوض من أجل التسوية». بمعنى ان استمرار الطموح الصهيوني وتصاعده قابله تراجع في المشروع العربي، أهدافاً ووسائل. ويلاحظ المتتبع لسير «عملية التسوية» التي بدأت في مدريد الفارق بين سلوك طرفي التفاوض، العربي والاسرائيلي؛ الفارق بين «فعل» اسرائيلي ورد فعل عربي. من هذا السلوك على سبيل المثال، لا الحصر:

١ - تأكيد الكنيست الاسرائيلي ان الجولان جزء من اسرائيل، وكان الكنيست أعلن ضمّ الهضبة السورية الى اسرائيل في العام ١٩٨١.

٢ - الاعلان عن اقامة مستوطنات جديدة في الأراضي العربية المحتلة بعد العام ١٩٦٧.

٣ - قرار اسرائيل بتاريخ ١/٢/١٩٩٢ ابعاد اثني عشر فلسطينياً من وطنهم، دون ان تعير حكومة شامير أي اكرات لقرار الادانة الذي أصدره مجلس الامن الدولي في هذا الشأن.

٤ - معارضة اسرائيل للموعد الذي حدّته الادارة الاميركية لبدء جولة المفاوضات الثنائية الثانية، وحدّدت الموعد الذي «يناسبها». وقال رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، معلّقاً على ذلك، ان الغاية من ذلك هي الاشارة الى «ان اسرائيل تتصرّف بكل جدية وسيادة... [و] ان الذين حاربوا من أجل حرية اسرائيل لن يقبلوا بمشاريع سياسية ستنتهي الى بيع جزء من وطنهم، وانهم لا يقبلون الرضوخ أمام كبار هذا العالم بالتخلي عن مبادئهم المقدّسة». وانزعجت الادارة الاميركية من سلوك اسرائيل، لكنها لم تفعل ما يزعج اسرائيل، بل ألزمت الوفود العربية بمفاوضات السلام بانتظار «تشريف» الوفد الاسرائيلي. وقد لاحظ نائب الرئيس السوري، عبد الحليم خدام، «ان الضغوط توجّه الى الجانب العربي لتقديم تنازلات، بينما تقدّم المكافآت للعدو الاسرائيلي».